جامعة الأزهر
كلية اللغة العربية بإيتاي البارود
المجلة العلمية

أشكال الصراع في رواية "النهايات" لعبد الرحمن منيف

إعداد

د/ محمد حسين Ma Xueyi
دكتوراه الأدب العربي
كلية الآداب – جامعة الإسكندرية
جمهورية مصر العربية

(العدد الثامن والثلاثون)
(الإصدار الأول .. فبراير)
(١٤٤٦هـ - ٢٠٢٥م)

علمية- محكمة- ربع سنوية
الترقيم الدولي: ISSN 2535-177X

أشكال الصراع في رواية "النهايات" لعبد الرحمن منيف

محمد حسين Ma Xueyi

دكتوراه الأدب العربي، كلية الآداب، جامعة الإسكندرية، جمهورية مصر العربية.

البريد الإلكتروني: maxueyi@gmail.com

الملخص:

تتناول رواية النهايات لعبد الرحمن منيف صراعات الإنسان مع الطبيعة، وهذه الرواية عن بلدة في الصحراء تتعايش مع الجفاف مذ كانت، إلى أن يداهمها القحط بحيث تشرف على الهلاك، ولا يبقى لها مورد سوى الصيد فتلجأ إلى شخص غريب الأطوار يتحدث عن المبادئ، ويدعو إلى التكافل الاجتماعي. غير أنه صياد ماهر، دائماً ما يدعو الناس إلى الحفاظ على البيئة، ويقود قومه في رحلة صيد، ولكن يلقى حتفه من جراء عاصفة غير متوقعة، وقد كانت بلدة (الطيبة) مثالاً لهذا الاتجاه الإنساني الصعب مع مجتمع الصحراء الوعر. وتتعدد عناصر الصراع في الرواية بسبب قسوة الطبيعة في الصحراء، وقد أثرت قسوة الطبيعة في قرية الطيبة، فبدلت جميع أحوالها من الاستقرار إلى الاضطراب، ومن السكون إلى الصخب مشتملة في ذلك كل الكائنات الحية بها «إن الإنسان شأنه شأن الكلاب والحيوانات بعامة ليسلك ويتصرف وفق قوانين اللذة والألم والخوف والطمع»، فقد شهدت قرية (الطيبة) ثورة عارمة من أجل البقاء على قيد الحياة، لم تكن من الإنسان أو السكان فقط، بل كانت من جميع الكائنات الحية بها من حيوانات وطيور ونباتات، كل منهم يصارع القحط والتغير والتبدل من أجل بقاءه وحياته.

الكلمات المفتاحية: النهايات، عبد الرحمن منيف، الصراع، عساف، الطيبة، الصحراء.

Forms of Conflict in the Novel "The Endings" by Abdul Rahman Munif

Muhammad Hussein Ma Xueyi
PhD in Arabic Literature, Faculty of Arts, Alexandria University, Arab Republic of Egypt.
Email: maxueyi@gmail.com

Abstract:
The Endings novel by Abdel Rahman Munif deals with the conflicts of man with nature. This novel is about a town in the desert that has been living with drought since its inception, until it is struck by drought to the point where it is on the verge of destruction. Its only resource is hunting, so it turns to an eccentric person who talks about principles and calls for social solidarity. However, he is a skilled hunter, always urging people to preserve the environment, and leads his people on a hunting trip, but he is killed in an unexpected storm, The town of Taybeh was an example of this difficult human trend with the rugged desert community. The elements of conflict in the novel are multiple due to the harshness of nature in the desert,The harshness of nature affected the village of Taybeh, changing all its conditions from stability to turmoil, and from calm to noise, including all living creatures in it. "Man, like dogs and animals in general, behaves and acts according to the laws of pleasure, pain, fear and greed, The village of Taybeh witnessed a massive revolution in order to survive, not only from humans or residents, but from all living creatures in it, including animals, birds and plants, each of them struggling with drought, change and transformation for their survival and life.

Keywords: The Endings, Abdul Rahman Munif, Conflict, Assaf, Kindness, Desert.

مقدمـة

تتناول رواية النهايات لعبد الرحمن منيف صراعات الإنسان مع الطبيعة، وهذه الرواية عن بلدة في الصحراء تتعايش مع الجفاف مذ كانت، إلى أن يداهمها القحط بحيث تشرف على الهلاك، ولا يبقى لها مورد سوى الصيد فتلجأ إلى شخص غريب الأطوار يتحدث عن المبادئ، ويدعو إلى التكافل الاجتماعي. غير أنه صياد ماهر، دائماً ما يدعو الناس إلى الحفاظ على البيئة، ويقود قومه في رحلة صيد، ولكن يلقى حتفه من جراء عاصفة غير متوقعة.

وقد كانت بلدة (الطيبة) مثالاً لهذا الاتجاه الإنساني الصعب مع مجتمع الصحراء الوعر. وتتعدد عناصر الصراع في الرواية بسبب قسوة الطبيعة في الصحراء.

وقد أثرت قسوة الطبيعة في قرية الطيبة، فبدلت جميع أحوالها من الاستقرار إلى الاضطراب، ومن السكون إلى الصخب مشتملة في ذلك كل الكائنات الحية بها «إن الإنسان شأنه شأن الكلاب والحيوانات بعامة ليسلك ويتصرف وفق قوانين اللذة والألم والخوف والطمع».

فقد شهدت قرية (الطيبة) ثورة عارمة من أجل البقاء على قيد الحياة، لم تكن من الإنسان أو السكان فقط، بل كانت من جميع الكائنات الحية بها من حيوانات وطيور ونباتات، كل منهم يصارع القحط والتغير والتبدل من أجل بقاءه وحياته.

وتظهر صور الصراع مع الصحراء من خلال عدة نقاط:

١- الصراع مع الصحراء من خلال صورة القحط.

٢- الصراع مع الصحراء من خلال صورة أرض القرية.

٣- الصراع مع الصحراء من خلال صورة الصيد.

٤- الصراع مع الصحراء من خلال صورة ساكنيها.

٥- الصراع مع الصحراء من خلال صورة الزروع والنباتات.

– فقد أورثت الصحراء ساكنيها هذه العلاقة المقدسة بين الطبيعة وقسوتها ومكافحة الإنسان من أجل تطويرها، فعاش متأرجحاً بين بستان وقحط، زرع وذبوله، ماء وجفاف، فنشطت في ذاكرته موهبة التذكر والتكرار للوصول إلى ما يصبو إليه. وقد عرض (عبد الرحمن منيف) في رواية (النهايات) لصراع الإنسان مع الحيوانات والطيور. وقد تصدى لهذه القضية من خلال دور (عساف) بطل الرواية، الذي كانت له مواقفه ضد أهل القرية مع بعض الطيور والحيوانات، ووضعه لقيود تجرم الصيد الجائر لهذه الكائنات المسالمة.

وظهرت قضية الصراع مع الحيوان في عدة أشكال، ومنها:

– الصراع مع الطيور ← مثل طائر الحجل – طائر القطا.

– الصراع مع الحيوان ← مثل الكلب (كلب عساف).

رموز الصراع في الرواية: وقد وظف عبد الرحمن منيف في رواية (النهايات) العديد من الرموز، التي استخدمها ليروج لآرائه وأفكاره، وخير مثال على ذلك: (رمز النهايات – رمز الطيبة – رمز الصحراء – رمز البطل (عساف) – رمز الكلب – رمز الحجل – رمز الطيور.

المؤلف عبد الرحمن منيف:

الأديب عبد الرحمن إبراهيم منيف، والمولود في دولة الأردن في مدينة عمَّان في شهر صفر ١٣٥٢هـ، مايو ١٩٣٣م، وتوفي بالعاصمة السورية دمشق في شهر (ذو الحجة) ١٤٢٤هـ، يناير ٢٠٠٤م. كان والده سعودياً، وأمه من العراق، وولد في بلدة قصيبا، والتي تقع في شمال إمارة القصيم في المملكة العربية السعودية حالياً. ويعد والده من كبار التجار في نجد، وقد اشتهر هؤلاء التجارة برحلاتهم التجارية بين العراق والشام.

وقد تقلد عدة اتجاهات اجتماعية فهو المفكر والناشط الحزبي، وكذلك كونه الخبير الاقتصادي الحاصل على درجة الدكتوراه في الاقتصاد، وهو أيضاً الكاتب الصحفي، والفنان الذي يعشق الفن التشكيلي، يم يترك مهنة الصحافة؛ ليعمل مؤلفاً وروائياً وحكائاً، وقاصاً، وكاتب متميز للسير الذاتية.

وقد أدرج (عبد الرحمن منيف) في المكتبة العربية، ما يزيد على ثلاثين كتاباً، بما في ذلك أعماله الروائية، ومؤلفاته الفكرية والنقدية في فنون الرواية، والفنون التشكيلية، والسيرة الذاتية، وسائر الآداب الإنسانية. وأدرجت أعماله ضمن برامج التعليم في جامعات أوروبية وأمريكية.

رواية النهايات:

هذه الرواية عن بلدة في الصحراء تتعايش مع الجفاف مذ كانت، إلى أن يداهمها القحط بحيث تشرف على الهلاك، ولا يبقى لها مورد سوى الصيد فتلجأ إلى شخص غريب الأطوار يتحدث عن المبادئ، ويدعو إلى التكافل الاجتماعي. غير أنه صياد ماهر، دائماً ما يدعو الناس إلى الحفاظ على البيئة، ويقود قومه في رحلة صيد، ولكن يلقى حتفه من جراء عاصفة غير متوقعة.

ولم يعرض المؤلف صورة تقليدية للصحراء بشكلها النمطي من حيث صورة حياة البدو، والحكايات الغامضة بها، وطبيعتها التي دائماً يصفها وأنها مثل الفتاة البكر، لكنه رسم مجتمعاً بشرياً، يقيس أبعاداً اقتصادية، وفقاً لموارده. وقد كانت بلدة (الطيبة) مثالاً لهذا الاتجاه الإنساني الصعب في مجتمع الصحراء الوعر.

– **وعساف (بطل الرواية)** من العامة الذين قست عليهم الحياة، فنشأ يتيماً وفشل في الحب، فاستبدله بوفاء كلب قام عنده مقام العائلة، فلا عجب أن يُظن به بعض الجنون. **ومع ذلك** كان فرداً يمثل ثقافة مجتمعه وتطويرها. وقد أدرك أن المصير مشترك بين الإنسان والطبيعة، وأدرك أن مصير الإنسان بيده، وعليه أن ينتزعه من القوى الخارجية (المدينة)، ومن الثقافات الوافدة.

إن مبدأ التحول الاجتماعي تجلى في مسار أهل البلدة الذي لم يتبدل إلا بعد موت عساف. وأن وعي عساف الذي عبر عنه قولاً والتزم به فعلاً حتى الموت، هز وعي الناس فتداعوا إلى إحياء سهرة تناوب فيها الحضور على سرد وقائع، حقيقية أو متخيلة. **وحدثت صحوة في المجتمع**، وإذا بالموكب وافداً إلى المدينة يطالب بحقه في الحياة، وإلا أعلن الثورة المسلحة. والروائي باختياره، **الطيّبة**، هذا الاسم الجميل لقريته هو اختيار رمزي، لأن كل قرية هي طيبة بالنسبة لأهلها.

القرية وقسوة الطبيعة:

ولأن الصحراء تمثل قسوة الطبيعة في رواية (النهايات)، فقد شهدت صحراء بلدة الطيبة موت البطل عساف، الذي كان يخرج للصيد مع جماعة من أبناء البلدة حين تثور العواصف، فتدفنه في الرمال، وهكذا تنتهي العلاقة الجدلية بين الطبيعة والإنسان باندحار الإنسان أمام الصحراء.. «أنه أسرف في قتل حيوانها، واستهان بقوتها، ولم يتبع قوانينها، ولم يتخذ الطريقة السليمة في التعامل معها، مما جعلها تدافع عن نفسها، وتحقق النصر عليه في النهاية».

مظاهر قسوة الطبيعة في القرية:

ومن مظاهر قسوة الطبيعة التي شهدتها قرية (الطيبة): (واحات الصحراء – المطر – الدواب – قطع الأشجار – تدمير الفاكهة – النباتات الطبيعية – الشمس المحرقة – الطبيعة القاسية – التربة الجافة – الرياح – الحيوانات البرية – السيول – المجاعات – طائر القطا – أحوال القرية – أنماط البشر – أثر

قسوة الطبيعة على القرية – ملامح قرية الطيبة).

واحات الصحراء:

يستعرض عبد الرحمن منيف قسوة الطبيعة، على واحات الصحراء في قرية الطيبة: «ولم تعد واحات الصحراء أو الخوابي المتناثرة في أماكن عديدة تحوي قطرة ماء»[1]. **فمن النص السابق** ندرك كيف جردت قسوة الطبيعة الواحات الصحراوية من آخر أمل لها في قطرة ماء، حتى أن العطش قد دفع الطيور للتخلي عن حذرها وخوفها لأول مرة في حياتها، والذي دفعتها هي غريزة البقاء، فاضطرت تحت قسوة القحط والجفاف أن تصول وتجول بحثاً عن الماء.

– المطر:

لم ينس الكاتب أن يحدد المطر من مظاهر قوة الطبيعة في القرية، فكانوا يخافون أن يأتي مطر غزير بعد ذلك الانقطاع، فإن جاء المطر هيناً متفرقاً ... فإن الخوف يظل حتى الأيام الأخيرة من آيار.

ومن النص السابق يستعير البطل من الطبيعة عنصر الماء المتمثل في قوة المطر، على الرغم من أنه لا حياة بدون ماء، إلا أنه يصبح ضاراً إذا تعرضت القرية للمطر الغزير، وهو ما حدث في قرية الطيبة.

– الدواب:

وقد كان للدواب والكائنات الحية في الصحراء نصيباً من قسوة الطبيعة عليها، فهي إما تُقتل وتموت بسبب الجفاف والقحط، أو تلقي مصيرها ببنادق الصيادين. «فإنها في سنوات المحل لا تستطيع أن تطعم أبناءها، ولذلك تسرق فيما تعطى للرعاة».

ومن النص السابق: لقد خص الكاتب ذكر الدواب وحالها في قسوة الطبيعة، بسبب أنها واحد من صور شدة القسوة في المجتمع، وقد لاحظ أحد

(١) عبد الرحمن منيف، النهايات، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ودار التنوير للطباعة والنشر، ط١٤، ٢٠١٨م، ص ١١.

النقاد:

التفكك الشديد الذي ضرب المجتمع، وخلف فيه شعوراً شديداً بالإحباط واليأس لم يكن الأدباء والكتاب بمنأى عنه فهم مرآة المجتمع؛ يعكسون آماله وآلامه ويرصدون كل ما يطرأ عليه من أحداث، ويعبرون عن ثقافته والعلاقات بين أفراده وعلاقة السلطة بالمحكومين فيه.

– قطع الأشجار:

ومن مظاهر قسوة الطبيعة التي جسدها الإنسان هي القَطْع الجائر للأشجار الذي أضربه نفسه ومجتمعه قبل أن يضر الأشجار، فأدى ذلك إلى خلل في البيئة المحيطة به. «ثم يتملكهم شعور بالاختناق حين يسمعون أصوات الفؤوس». وقد تسبب القطع الجائر للأشجار إلى اختلال التوازن البيئي في المجتمع القروي في الصحراء.

– تدمير الفاكهة:

يقدم الكاتب نظرة حسرة وأسى من قبل أهل الطيبة على ماضي القرية وخيراتها، خاصة الفاكهة التي كان يحبها الجميع، فدمرها القحط والجفاف. «أما إذا جاءت فاكهة الطيبة إلى المدينة، في سلال صغيرة، فكان هؤلاء الأبناء لا يملون أبداً من تقليبها والنظر إليها، كانوا يفضلون أن يقدموها إلى ضيوفهم».

– النباتات الطبيعية:

كانت الصحراء تجود بالكثير من النباتات الطبيعية التي تخدم رواد الصحراء، سواء الإنسان أو الحيوانات ولكن عندما قست الطبيعة على القرية، راحت معها هذه النباتات الطبيعية التي كان يُطلق عليها أهل القرية أنها نباتات تأتي من السماء. «والتي تبشر بموسم خصب، وتحمل معها أعداداً لا حصر لها من النباتات البرية، ويُقال أن تلك النباتات تنزل من السماء مع المطر».

- الشمس المحرقة:

من المعروف أن شمس الصحراء دائماً حارقة، شديدة السخونة، وعندما حل القحط وازدادت قسوة الطبيعة على الصحراء، أصبحت الشمس وكأنها لفح من النار. «الشمس تنزلق من السماء مثل رصاص مصهور، والرمل أكثر سخونة من الجمر، حتى الكلب وهو ينقل أقدامه».

ويتجلى موقف الكاتب الواقعي من المجتمع فهو عنده يقوم على الصراع.

- الطبيعة القاسية:

ويشرح الكاتب في نص سردي منفرد حديثاً عن جبروت الطبيعة، الذي شهدته قرية الطيبة وصحراؤها كمثال على هذه القسوة ليضرب عدة أمثلة لها.

- **التربة الجافة:** يستمر الكاتب في استعراض مظاهر قسوة الطبيعة، فيذكر التربة في القرية. «وينظرون إليها بحزن وقد تحجرت التربة من البرودة وعبثت بها العصافير الموسمية».

- الرياح:

من أقوى وأصعب صور قسوة الطبيعة على أي مكان هي الرياح الباردة الشديدة العصف، والتي دائماً ما تأخذ في طريقها كل شيء. «أما حين يعصف الجو وتعربد الرياح الباردة، فإن انتظاراً ممضاً يشبه حد الموس».

- الحيوانات البرية:

يشير الكاتب في هذا النص إلى ضحية أخرى من ضحايا الصحراء القاحلة عندما تغضب عليها الطبيعة وهي "الحيوانات البرية". «وبعد أن يستعيدوا شجاعتهم تطير الإناث فيضربونها.

ويرى الباحث أن: الكاتب رصد جميع صور قسوة الطبيعة في الرواية بشكل واضح منقول من الواقع مستعرضاً الحدث ونتائجه.

– السيول:

ويسمعون عن السيل الترابي الذي سيُنشأ قريباً من الطيبة، ليجمع المياه التي تتدفق سيولاً جارفة. فيدفع المؤلف بعنصر الأمطار الغزيرة التي تصل إلى حد السيول، والتي تعتبر أيضاً من أكبر صور قسوة الطبيعة في الرواية.

– المجاعات:

عن مجاعات قرية الطيبة التي طالت الإنسان والحيوان يشير عبد الرحمن منيف في نصين سرديين، عن هذه المجاعات التي طالت القرية بسبب التغيرات في الطبيعة. يقول: «وإذا كانت المجاعات تفرق عادة بين الناس .....»[١]. **وكذلك:** «لكن الطيبة التي تستطيع أن تطعم أبناءها .....»[٢].

وهكذا فإن مشاهد الفقر العنيفة لم تكن إلا بعض الملامح الواقعية غير المسرفة في تشاؤمها من الواقع وعدم صلاحيته.

ويرى الباحث أن المؤلف/ عبد الرحمن منيف قد تناول في رواية النهايات علاقة الإنسان بالتغيير البيئي وخاصة المناخي منه، خاصة في البيئة الصحراوية، مشيراً إلى تحطم وحدة الإنسان مع الطبيعة والحيوان والنباتات والطيور، والتي أدت إلى الخلل في النظام البيئي لهم جميعاً، ومن ثم نشأ عنه الصراع مع الطبيعة، كما أشارت الدراسة في عنوانها.

– طائر القطا وقوة الحياة: وهو نموذج لطائر من طيور الصحراء الذي طالته يد القسوة الطبيعية، وصراع البقاء. «لكن تبقى قوة الحياة هي الأقوى، إذ

---

(١) «..... وتجعل كل إنسان يبحث لنفسه عن طريقة يؤمن بها خبزه، فإن المجاعات والأحزان تقرب بين الناس في الطيبة، وتجعلهم أسرة واحدة وجسداً واحد». عبد الرحمن منيف، النهايات، مصدر سابق، ص ٥٥.

(٢) «..... أجزاء من لحمها لا تقوى على مواجهة مثل هذه المصائب سنة بعد أخرى بصدرها المكشوف وإمكانياتها المحدودة». المصدر السابق، ص ٥٦.

يتحول القطا، هذا الطائر الأبله، شيئاً فشيئاً إلى طائر جني»[1].

ويقصد الكاتب في النص السابق أن القوة التي توجه الطائر وتسيطر عليه هي غريزة الكفاح والنضال من أجل البقاء على قيد الحياة، فبعد أن كان طائراً يحصد الصيادون أرواحه بالآلاف، أصبح طائراً حذراً ممن حوله، ودفعته لذلك قسوة الطبيعة.

- أحوال القرية:

يعقد عبد الرحمن منيف في صورة صراع الإنسان ضد الطبيعة القاسية مثلثاً من ثلاثة أضلاع، يصف فيها قسوة الطبيعة وتبدل الأحوال، وصراع الإنسان ضد هذه المشكلة فعرض:

أ- أحوال القرية.

ب- أثر قسوة الطبيعة على القرية.ج- ملامح قرية الطيبة.

«فحين يبدأ النبع يتراخى والساقية تضمر، ثم تجف في نهايتها، يصبح المجرى مثل حية ماتت لتوها».

- أنماط البشر:

يصف أنماط البشر المتواجدين في القرية، وأنهم أصبحوا أكثر غرابة وانطواءاً. - «هذا النوع من البشر يتحول يوماً بعد آخر إلى حالة من الغرابة والانطواء، ويصبح بطبيعته أميل إلى الابتعاد عن الناس».

- أثر قسوة الطبيعة على القرية:

يقسم الكاتب صورة القرية قبل وبعد القحط والجفاف، فيقدم نصاً سردياً طويلاً، أشار فيه إلى حالة القرية في الرخاء والشدة، مبيناً أثر قسوة الطبيعة على القرية.

(١) عبد الرحمن منيف، النهايات، مصدر سابق، ص ٥٢.

– ملامح قرية الطيبة:

الطيبة مثل أي مكان في الدنيا لها أشياؤها التي تفخر بها. «لكنها بالنسبة للطيبة جزء من الملامح التي تميزها عن غيرها من الضيع والقرى»[١]. **ويرى الباحث أن** قسوة الطبيعة فعلت ما فعلت بقرية الطيبة، فبدلت حالها وجميع أحوالها من الاستقرار إلى الاضطراب، ومن السكون إلى الصخب مشتملاً في ذلك كل الكائنات الحية بها «إن الإنسان شأنه شأن الكلاب والحيوانات بعامة ليسلك ويتصرف وفق قوانين اللذة والألم والخوف والطمع»[٢].

الثورة للبقاء على الحياة:

دائماً يسعى الإنسان للحفاظ على حياته، فنظرية انتصار إرادة الحياة على الموت، حاضرة في عقله إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها. فالإنسان منذ أن كان وهو يريد أن يعيش، يريد أن يكمل هذه الحياة بكل آلامها وصعوباتها وخيباتها. «يتشبث بالحياة بنواجذه». وقد ورد في الرواية: الدنيا حياة وموت، والإنسان لا يضمن نفسه في اليوم الذي يعيش فيه.

أشكال الصراع في الرواية:

وقد ورد في الرواية ملامح عديدة من صراع الإنسان مع الصحراء، ومن ذلك: «اذهبوا إلى المدينة واعملوا هناك، إما أن تنتشروا في هذه الأرض الغبراء، وأن تتشردوا بين الجبال والصحراء».

ويرى الباحث أن الكاتب قد وصف صراع الإنسان مع صحراء بلاده، تزامناً مع وقوع البلاد العربية وصحراءها الشاسعة تحت وطأة التغيير المناخي

(١) عبد الرحمن منيف، النهايات، مصدر سابق، ص ١٥.

(٢) أحمد سعداوي، مظاهر العنف في الرواية العربية المعاصرة، فرانكشتاين في بغداد larabi.nccal.qov.kw.

والسياسي، كما أشار إلى ذلك غالي شكري[١].

وتعرض الرواية قسوة الصحراء: «والطيبة التي تحب الفكاهة والسخرية، مثل غيرها من القرى، في أوقات الراحة والفرح، تتغير كثيراً».

فمن النصوص السابقة نرى الصحراء عالماً يعانق الأسطورة في فضاء الرواية، فيشعر المتلقي أن عالم الصحراء هو عالم رغم قفاره غني بالثروات الطبيعية، التي تظهر مع صراع الإنسان في بقائه في هذا المجتمع الذي يحمل آثار الأجداد والأسلاف.

– «تصبح البلدة أقرب إلى السواد، تغطيها الظلمة عند الغروب، وتمتد فوقها موجة من الصمت والأحزان»، «حين طاردوا الغزلان وقتلوها كلها، أصبحت الصحراء مثل قبر كبير، لا ترسل إلا الغبار والموت»، «انتظار الموت في هذه الصحراء. فالموت هنا لا يأتي فجأة».

ويشرح صورة الصراع بين الإنسان والصحراء، وكيف يكون الموت في الصحراء: «وإنما يكشر عن أنيابه في البداية، ثم يقف على شبابيك السيارات، وبين لحظة وأخرى يعربد».

ويرى الباحث أن كتابة الصحراء أو أدب الصحراء، دائماً ما يجسد التخفي، وحمل الأسرار التي تخفيها قوة الصحراء الساحرة، والتي دائماً ما يسعى الإنسان إلى كشف سرها من خلال صراعه معها[٢].

---

(١) «وتزامن الأمر في التطور الروائي مع خط الانكسار العربي، إذ كانت هزيمة الجيوش العربية في حرب١٩٦٧م، فقد كانت هذه الهزيمة رؤية في الفكر والفن ومؤشراً لتصاعد الصراع بين الشرق والغرب، لكن نهاية الرؤية كانت بداية الجديد، وولاية الرؤية الجديدة في العالم العربي». غالي شكري، سوسيولوجيا النقد العربي الحديث، دار الطليعة، بيروت، ط١، ١٩٨١م، ص٢٠٠.

(٢)«وكتابة الصحراء بهذا المعنى المادي قد يكون لها مفعول أكبر وأخطر، فقد اقترنت لحظات الموت والميلاد بالنقوش والكتابات القديمة، فالكتابة الصحراوية رموز مادية غامضة تنطوي على قوة خفية مدمرة تقتل وتميت، ولكنها قد تضمر سراً عظيماً، وقد تبطن قوة =

الصراع مع الحيوان: إلى جوار النزعة الإنسانية تجاه الإنسان نفسه، بمعنى البحث عن علاقة طيبة وخالية من الشوائب بين البشر أنفسهم، فإن هناك من حاول الربط بين الإنسانية والحيوانية، والإنسانية الحقة يجب أن تتذكر حتى أولئك الذين لا بواكي لهم، فحين تكون هناك كارثة طبيعية، أو كارثة تسبب بها الإنسان نفسه، فإننا لا نبكي على الحيوانات التي نفقت في تلك الكارثة، ولكننا نبكي على البشر الذين قضوا، أو أصيبوا فيها[1]. وهذه حقيقة الإنسان الذي لا يُدرك أهمية الحيوان في حياته، وأن الله سبحانه وتعالى خلق هذه المخلوقات لتكون في خدمة البشرية. «نظراً للعادة وللمسافات التي تفصل الناس عن بعضهم في الحقول، أو حين يضطرون للمناداة على الحيوانات الضالة».

لقد عرض (عبد الرحمن منيف) في رواية (النهايات) لصراع الإنسان مع الحيوانات والطيور، وقد تصدى لهذه القضية من خلال دور (عساف) بطل الرواية، الذي كانت له مواقفه ضد أهل القرية مع بعض الطيور والحيوانات، ووضعه لقيود تجرم الصيد الجائر لهذه الكائنات المسالمة.

وظهرت قضية الصراع مع الحيوان في عدة أشكال، ومنها:

– الصراع مع الطيور ← مثل طائر الحجل – طائر القطا.

– الصراع مع الحيوان ← مثل الكلب (كلب عساف).

أ– **الصراع مع الطيور**: أما الطيور التي تعبر سماوات كثيرة متجهة إلى حيث تجد رزقها، فقد كانت تعبر سماء الطيبة بسرعة. **ويشير النص السابق إلى**

=

تحيى وتكون برفقة الميلاد». سعيد الغاني، ملحمة الحدود القصوى – الخيال الصحراوي في أدب إبراهيم الكوني، المركز الثقافي العربي، المغرب، الدار البيضاء، ط١، ٢٠٠٠م، ص ١٦٢.

(١) انظر د. محمد عبد الله القواسمة، الموضوع والتقنيات في رواية (النهايات) لعبد الرحمن منيف، ٢٠٢٠م، ص١١.

حالة الطيور قبل القحط، تسير بالأفواج، عابرة صحراء السماء قبل صحراء الأرض ثم ينتقل إلى صورة فرار هذه الطيور من القحط الذي حل بها. «عدا تلك الطيور الصحراوية القاسية الملعونة، فقد كانت تترك أماكن كثيرة في هذا العالم وتتجه إلى الطيبة أو قريباً منها».

فيستعرض النص السابق أنه في هذه السنين، المليئة بالجوع والموت، تأتي أفواج لا حصر لها من الطيور، فتمر بسرعة فوق الصحراء مثل غيمات مسرعة خفيفة، فهي لا تترك وقتاً إلا ومرت فيه، فهي تطير مدركة أن موتها قادم لا محالة حتى وإن جهلت متى وأين يحدث.

– «وكان الوافدون الجدد يمتلئون زهواً حين تصيب طلقاتهم طيراً من الطيور، وبين عشية وأخرى يتحولون إلى مهووسين لا يعرفون الراحة والهدوء».

فيقدم النص السابق حالة الصراع بين صيادين الطيبة وأسراب الطيور المفزوعة الباحثة عن الطعام والماء، فهم ينظرون إلى هذه الطيور نظرة مليئة بالحزن والأسى، فقد تمنوا أن تكون قريبة لينالوا منها، أو لعلها تتوقف قليلاً، فربما تتحقق رغبتهم في أن يظفروا بعدد منها فيسدوا جوعهم الذي فُرض عليهم جراء الجفاف والقحط، ثم يضيع أملهم في ذلك لأنهم حتى لو حصلوا على هذه الطيور، فهي هزيلة وضعيفة لن تسد جوعهم.

– «أما أن تتشردوا في هذه الأرض الغبراء، وأن تتشردوا بين الجبال والصحراء، من أجل طيور جائعة». ثم تأتي النتيجة واحدة، فلا الطيور تصل إلى هدفها، ولا الصيادون كذلك، فهذه تواصل طيرانها بلا توقف، وهؤلاء يواصلون رصدهم لها أيضاً بلا توقف.

«إن ما يكاد يعود بعد الغروب، حاملاً معه عشرات الطيور، حتى بدأ

يدق بعض الأبواب .... ويفكر بذلك من قبل طويلاً»[١].

ب- الصراع مع الحيوان: إن القسوة التي يمارسها الإنسان ضد الحيوان هي الأخطر والأقوى والأشد، وذلك لأن الإنسان هو الذي يملك العقل والقدرة على التفكير والتحليل، وبذلك فإن الإنسان لا يقسو على الإنسان فحسب، ولكنه يقسو على الحيوان أيضاً وعلى الطبيعة، وإن كانت هذه القسوة متبادلة في بعض الأحيان، فالحيوان أيضاً قد يقسو على الحيوان، والطبيعة قد تقسو على الإنسان. نظراً للعادة وللمسافات التي تفصل الناس عن بعضهم في الحقول، أو حين يضطرون للمناداة على الحيوانات الضالة.

وكانت دائماً نظرة الإنسان الاستعلائية للحيوان واضحة ومعروفة، ولذلك لم يغفل الكتاب خاصة في أعمالهم الروائية النظر لأثر اليد البشرية في مملكة الحيوان فرصدت العلاقة بين الإنسان والحيوان من عدة زوايا، فهناك بعض الروايات تسلط الضوء على جرائم الإنسان ضد الحيوان في بيئته، أو ترصد جرائم الإنسان ضد الإنسان مستغلاً الحيوان بينهما.

ولا تقتصر هذه الحالة على البشر، إذ تمتد إلى الحيوانات والطيور، وتغطي جزءاً من نهارها في سكينة أقرب إلى الدعة من التشبع والامتلاء.

وهكذا استطاع عبد الرحمن منيف أن يبدع من الخيال الفني صورة الصراع بين الإنسان والحيوان، فجاءت الرواية (النهايات) تحمل «كثيراً من دلائل القدرة الفنية والإبداعية لهذا الخلق الفني، بقوة الخيال الذي يخلق وحدة بين الأشياء الكثيرة، فيذيب ويلاشي ويحطم لكي يخلق من جديد»[٢].

---

(١) عبد الرحمن منيف، النهايات، مصدر سابق، ص ٤٧.

(٢) د. محمد الديهاجي، الخيال وشعريات المتخيل، منشورات محترف الكتابة، فاس، المغرب، ط١، ٢٠١٤م، ص ١٥٦.

– «صحيح أن عساف في أعماقه يدرك أن كل حيوان وكل طير يعرف كيف يدافع عن نفسه وإلى أين يذهب».

١ – الكلب (كلب عساف):

هو الصديق الوفي، الذي لازم عساف في رحلته الصعبة ضد الصحراء والقحط، فقد لازم عساف في رحلته للحفاظ على قرية الطيبة وأهلها، حتى أنه كان معه في آخر لحظة في حياته، لدرجة أنه بكى على عساف عندما مات واضعاً رأسه بجوار رأسه. **وقد رسم عبد الرحمن منيف** على لسان الراوي صورة لافتة لهذا الحيوان، وعلاقته بالإنسان، فالاقتران والوفاء وطيب المعاملة، أصبح شيئاً غريباً على أناس اعتادوا الصراع والقتل والحرب، فلذلك كثرت الأقاويل التي تناولت سيرة الكلب مع عساف، فالجميع توقع الصراع بينهما، وليس اتحادهما ضد الصراع الصحراوي.

«وعساف الذي سمع بعض ما يقوله الناس، كان يبتسم دون اهتمام، ويطبطب على ظهر الكلب». وبعد أن أصبح عساف والكلب متلازمين، بدت صورتا الاثنين واحدة، وتجرأ بعض الخبثاء، وقالوا إن شبهاً قوياً بين عساف والكلب. فقد ارتسمت صورة الكلب وطبيعة علاقته بعساف في أذهان أهل الطيبة؛ الذين كانوا لا يجيدون إلا الاعتناء بهذه الحيوانات وتربيتها، والبحث لها عن مصدر غذاء آمن وسط هذا القحط والجدب، بل والنهاية أو النهايات الحتمية، بأن علاقة عساف والكلب علاقة استثنائية حتى أنهم ربطوا الشكل بينهما، وكأنهما أخوين أو توأمين، نتيجة للمعاملة الحسنة التي عامل بها عساف كلبه.

عندما مات عساف، لم يحزن عليه أحد مثلما حزن عليه الكلب، حتى أن الكاتب جسد مشاعر الحزن هذه في وصف ردة فعل الكلب وجلوسه حول جثة عساف. وقد رأى الناس الملتفين حول جثة عساف، كيف حاول الكلب حماية

جثة صاحبه من مناقير النسور والطيور الجارحة، في لفتة إنسانية منه.

– «فقد مات عساف قبل الكلب، ولابد أن بعض الطيور، ربما هذا النسر أو غيره، أحسَّت وعرفت بذلك، وجاءت لتأخذ نصيبها منه».

ثم يموت الكلب وفاءً وفداءً لجثة صاحبه، ويأتي المؤلف بهذا المشهد المؤثر: «انظروا إلى الدماء المتجمدة فوق رأس الكلب، لقد مزقته بمناقيرها لتصل إلى عساف».

رموز الصراع في الرواية: وقد وظف عبد الرحمن منيف في رواية (النهايات) العديد من الرموز، التي استخدمها ليروج لآرائه وأفكاره، وخير مثال على ذلك: (رمز النهايات – رمز الطيبة – رمز الصحراء – رمز البطل (عساف) – رمز الكلب – رمز الحجل – رمز الطيور.

١ – رمز النهايات:

إن اختيار رمز (النهايات) هو علامة تدل على مدى التكافؤ الموضوعي الذي اختاره الكاتب، وهو ما مثله النص السردي في الرواية، حيث اشتملت على نهايات كثيرة منها: نهاية الزرع والخضرة ونهاية الخير في القرية، ونهاية الناس بموت عساف، ونهاية الطيور والحيوانات بوجود القحط وغيرها، وعليه فإن عنوان رواية (النهايات) إشارة ضمنية إلى حالة الضياع التي تقع فيها القرية بسبب قدوم القحط والصيد الجائر.

رمز (قرية الطيبة): يأتي توظيف كلمة (الطيبة)، كرمز للقرية الطيبة المملوءة بالخيرات، فاختار الكاتب المعنى الطيب، ليشير إلى البساتين والزرع والمياه الوفيرة، والأخلاق الفاضلة لأهلها، فكانت تتمتع بالأيام السعيدة، والخير الوفير. «ومن ناحية الشمال والغرب تمتد سهول فسيحة، يتخللها بين مسافة وأخرى بعض الهضاب. وهذه السهول تزرع بأنواع كثيرة من الحبوب».

ويؤكد الكاتب على أن رمز الطيبة هو رمز العطاء والجود: «في المواسم الجيدة تخضر الطيبة، وتعبق من كل جهاتها، وتمتلئ بالورود».

رمز الصحراء (القحط): ويأتي توظيف رمز (الصحراء) إلى تبدل الأحوال، وحلول السنوات العجاف على الأوطان العربية، فكان الرمز بالصحراء والقحط الذي حل عليها هو رمز الاحتلال في المجتمع العربي، والخسارات الفادحة التي تكبدتها الدول العربية جراء ذلك.

«الموت والحياة في مثل هذه الظروف متساويان، انظروا إلى الأرض والأشجار والدواب، وانظروا في وجوه البشر».

إن المفارقات الرمزية الدرامية التي بدأها الكاتب، بداية باسم (النهايات) التي تقلب الموضوع رأساً على عقب، ثم التمييز بين الخير والشر، الخير الذي يمثله رمز (الطيبة)، والشر الذي يمثله رمز (الصحراء والقحط) رغم أنها حملت التناقض، إلا أنها كانت ممثلة للتعبير عن زوال النعم وتبدل الأحوال.

رمز البطل (عساف): جاءت شخصية البطل (عساف) لترمز إلى النضال والكفاح العربي ضد المستعمر، فشخصية عساف هي نموذج للمخلص والمنقذ، فهو الذي أرشد القرية للخلاص من الهلاك، وكان موته إفاقة لهم من الضلال، حتى أنهم بعد موته نفذوا كل ما أشار لهم به. «وهذا النوع من البشر يتحول يوماً بعد آخر إلى حالة من الغرابة والانطواء ويصبح بطبيعته أميل إلى الابتعاد عن الناس أو الاهتمام بهم». وقد استردت القرية وعيها عند مات، وندموا أشد الندم لضياع بطلهم الذي طالما نصحهم بالثبات والقوة دفاعاً عن الحق. «راح عساف .. ونحن الذين قتلناه. راح الغالي. كان منظراً مفجعاً مليئاً بكآبة»[1].

رمز (الكلب): كان وجود الكلب طوال رحلة الرواية إلى جوار عساف، رمزاً للوفاء والمساندة، مع أن أهل القرية رفضوا وجوده في البداية إلا أنه أثبت أنه الصاحب الوفي، الذي ممكن أن يدفع حياته فداءً لصاحبه، وقد كان ذلك ظاهراً في حزنه على وفاة عساف. «إن ذلك كله من تاريخ الطيبة الأقرب إلى النسيان»[2].

(١) عبد الرحمن منيف، النهايات، مصدر سابق، ص ١٠٢.

(٢)عبد الرحمن منيف، النهايات، ص ٣٧.

رمز الطيور: دائماً ما ترمز الطيور إلى الحرية والانطلاق، وكانت الطيور في قرية الطيبة رمزاً للنماء والخير، ووجودهم فوق سماء (الطيبة) دليلاً على الراحة والأمان والأرض المنعمة. «أما الطيور التي تعبر سماوات كثيرة متجهة إلى حيث تجد رزقها».

وقد استعان الكاتب بنوعين من الطيور الصحراوية التي كانت رمزاً للحرية والخير في قرية (الطيبة) وهما: ١- طيور الحجل.٢- طيور القطا.

أ- رمز طائر الحجل: من الطيور الصحراوية التي كانت تغزو الأرض في القرية بحثاً عن العيش والماء، وكان وجوده رمزاً للجمال والخير. «لا تقتلوا الإناث، إنها رزقنا الباقي .....»[١].

ب- رمز طائر القطا: أيضاً من الطيور التي تقطع الصحراء أميالاً، وتحط من أجل قطرات الماء. «لكن تبقى قوة الحياة هي الأقوى، إذ يتحول القطا، هذا الطائر الأبله، شيئاً فشيئاً إلى طائر جني». إن الهدف من توظيف الرمزية في النصوص السردية في رواية "النهايات" هو الوصول إلى البنى المعرفية التي تدفع المتلقي إلى إدراك وحشية القحط وقسوة الجفاف، ومقاومة الصعاب من أجل البقاء على الحياة.

ويرى الباحث أن أهمية الرمز في النص السردي ترجع إلى «أنه إحدى الوسائل التي تعبر عن الحالات الذهنية القائمة على التصورات الغامضة، التي تسقط سريعاً على الذهن وتجري فيه، ولا يمكن أن يعبّر عنها المؤلف بطرق التعبير المباشرة»[٢].

(١) عبد الرحمن منيف، النهايات ، ص ٤٩.

(٢) عبد الله عبد البادئ، الرواية الآن، دراسة في الرواية العربية المعاصرة، مكتبة الآداب، ١٩٩٠م، ص٩٥.

الخاتمة وأهم النتائج

الحمد لله رب العالمين.

وبعد عرض هذا البحث (أشكال الصراع في رواية "النهايات" لعبد الرحمن منيف)، يجدر بالباحث الإشارة إلى عدة نتائج توصل إليها البحث، وهي كالآتي:

١- تعددت قضايا الصراع الإنساني مع الطبيعة في رواية النهايات من خلال وصف مشاهد الصحراء، وقسوة الطبيعة عليها.

٢- تميزت الرواية باستعراض صورة الصراع مع الصحراء والحيوان من خلال صورة القحط وصورة الصيد.

٣- برزت في الرواية قضية الصراع مع الحيوان في عدة أشكال، ومنها: أ- الصراع مع الطيور مثل طائر الحجل وطائر القطا. ب- الصراع مع الحيوان مثل الكلب "كلب عساف.

٤- تميزت رواية النهايات بمقاطع وصفية قوية، عملت على استعراض الأرض، والأفراد، والحيوان، والطيور، والمعاناة، في أرض الصحراء.

٥- نجح الكاتب في تقديم صورة البطل "عساف"، في بساطة الشخصية وقوة النهاية، وقدم المؤلف بطله ضد أهل القرية مع بعض الطيور والحيوانات، ووضعه لقيود تجرّم الصيد الجائر لهذه الكائنات المسالمة.

٦- برز في الرواية انتصار الكاتب للمبادئ والقيم، والتي تمثلت في دعوة البطل لأهل قريته.

٧- وظف عبد الرحمن منيف في روايته "النهايات" العديد من الرموز لدلالاتها على الصراع؛ مثل: رمز النهايات، رمز الطيبة، رمز الصحراء، رمز البطل "عساف"، رمز الكلب، رمز الطيور.

قائمة المصادر والمراجع

أولاً– المصادر:

١– رواية النهايات، عبد الرحمن منيف، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ودار التنوير للطباعة والنشر، ط١٤، ٢٠١٨م.

ثانياً– المراجع:

٢– آمنة يوسف، تقنيات السرد في النظرية والتطبيق، سوريا، ١٩٩٧م.
٣– بطرس الحلاق، التحول الاجتماعي عند منيف في قصة النهايات، الجامعة الدورية، ٢٠٢٠م.
٤– جابر عصفور، زمن الرواية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠٠٣م.
٥– حميد لحميداني، بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط١، ١٩٩١م.
٦– الرواية العربية في تيه الصحراء العظيم، تحقيق حسن عبد الموجود، ٢٠٢٣م.
٧– سحر حسين شريف، دراسات نقدية في الرواية العربية، دار المعرفة الجامعية، ٢٠١١م.
٨– سعيد الغاني، ملحمة الحدود القصوى – الخيال الصحراوي في أدب إبراهيم الكوني، المركز الثقافي العربي، المغرب، الدار البيضاء، ط١، ٢٠٠٠م.
٩– سعيد يقطين، تحليل الخطاب الروائي، المركز الثقافي، بيروت، الدار البيضاء، ط١، ١٩٨٩م.
١٠–شاكر النابلسي، جماليات المكان في الرواية العربية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط١، ١٩٩٤م.
١١––––––––––، مدار الصحراء، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، ط١، ١٩٩١م.
١٢–عامر علي سالم، ثنائية الأرض والإنسان في روايات عبد الرحمن منيف، جامعة جرش، ٢٠١٧م.

١٣-عبد الرحمن منيف، الكاتب والمنفى، المؤسسة العربية للدراسات والنشر والمركز الثقافي العربي، لبنان، ط٤، ٢٠٠٧م.
١٤-عبد الرحيم الكردي، الراوي والنص القصصي، دار النشر للجامعات، مصر، ط٢، ١٩٩٦م.
١٥-عبد الله عبد البادئ، الرواية الآن، دراسة في الرواية العربية المعاصرة، مكتبة الآداب، ١٩٩٠م.
١٦-لطيف زيتوني، مصطلحات نقد الرواية، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، ط١، ٢٠٠٢م.
١٧-مجدي وهبة وكامل المهندس، معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، مكتبة لبنان، بيروت، ١٩٧٩م.
١٨-مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، مكتبة الشروق الدلولية، القاهرة، ٢٠١٢م.
١٩-محمد حسن عبد الله، الريف في الرواية العربية، عالم المعرفة، ١٩٨٩م.
٢٠-محمد الديهاجي، الخيال وشعريات المتخيل، منشورات محترف الكتابة، فاس، المغرب، ط١، ٢٠١٤م.
٢١-محمد سيد أحمد متولي، العنوان في الرواية العربية، الرمز والأبعاد الثقافية، ٢٠١٧م.
٢٢-محمد عبد الله القواسمة، الرواية والطبيعة الانطولوجيا، دار الشعب، ١٩٨٩م.
٢٣----------، الموضوع والتقنيات في رواية (النهايات) لعبد الرحمن منيف، ٢٠٢٠م.
٢٤-نادية سعيد عيشور، الصراع الاجتماعي، الاتجاهات التنظيرية التقليدية والسوسيولوجية، دار مجدلاوي، الأردن، ط١، ٢٠١٣م.
٢٥-نجوى الرياحي القسنطيني، في نظرية الوصف الروائي – دراسة في الحدود والبنى المورفولوجية والدلالية، بيروت، ط١، ٢٠٠٨م.

ثالثاً- المجلات والدوريات:

٢٦-جنان زراد، الصراع الحضاري في روايات عبد الرحمن منيف، المركز الجامعي تمنراست، الجزائر، العدد ٩، مايو ٢٠١٦م.
٢٧-حميدة قادوم، الصحراء قيمة سردية فاعلة في الرواية العربية المعاصرة، ندوة علمية، كلية الآداب والحضارة الإسلامية، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة، مايو، ٢٠٢٤م.
٢٨-رشا أحمد، تجليات الطبيعة في الرواية العربية، صحيفة الشرق الأوسط، نوفمبر ٢٠٢٣م.
٢٩-سيد محمد أحمدينا، رواية النهايات لعبد الرحمن منيف، دراسة في الشخصية والمكان، مجلة اللغة العربية وآدابها، السنة ١١، العدد ٣، خريف ١٤٣٦هـ.
٣٠-فيصل دراج، عبد الرحمن منيف ومساءلة التاريخ، دورية نزوى، فصلية ثقافية، العدد ٣٧، ٣٨، ٢٠٠٤م.
٣١-قطب عبد العزيز بسيوني، تجليات المكان في روايات عبد الرحمن منيف، دورية إبداع، السنة ٢٠٠١م، مجلد ١٩.
٣٢-محمد الشحات، قراءة في روايات المنفى العربية، عبد الرحمن منيف نموذجاً، مجلة المدى الثقافي، العدد ٢٧٠، ٢٠٠٤م.

رابعاً- المواقع الإلكترونية

٣٣-أحمد سعداوي، مظاهر العنف في الرواية العربية المعاصرة، فرانكشتاين في بغداد .larabi.nccal.qov.kw
٣٤-محمد قسايمة، غريزة البقاء .. لماذا يريد الإنسان أن يعيش ajned.net
٣٥-مصطفى ناجي، عساف، سقراط والمسيح – قراءة في النهايات، عبد الرحمن منيف anfasse.org
36-www.Wikipeadia.org.